Albaydha
Albaydha.sa

أين تكمن السعادة والقوة؟

للدكتورة: نورة بنت شاكر الشهري

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك بجامعة المجمعة.

احذر احذر احذر احذر احذر

مقال نقديّ لكتاب:

القوة والحريّة والخير

الكاتب:
ديباك شوبرا
Deepak Chopra

مُلحد رُوحانيّ هندوسيّ الأصل، وهو أحد أبرز رموز الفكر الباطنيّ الإلحاديّ الحديث.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد،

يبحث البعض عن السعادة والحرية لكي يعيش براحة وطمأنينة، تراوده بعض الأسئلة التي تتعلق بالوجود والخلق فتزل قدمه عن الحق، وعن منهج أهل السنة والجماعة وعن مصادرهم الأصيلة.

ونجد من أهل الفكر الباطني المنحرف من تصدر للباطل وزاحم الطريق المستقيم بما يبثه من أفكار فاسدة وعقائد منحرفة من خلال كتاباته ومؤلفاته التي تشبعت بالفكر الروحاني المختلط بأفكار الفلاسفة الصوفية وأصحاب الديانات الوضعية من الهندوسية والبوذية والطاوية.

ومن تلك المؤلفات كتاب: (القوة والحرية والخير، لديباك شوبرا) وهو من رموز الباطنية الروحانيين، الذي عُرف بالانحراف العقدي، يتعرض لأسئلة الوجود الكبرى ويجيب عليها من منطلق مذهبه وما يحمل من معتقدات باطنية، وأن هذه الأسئلة تكمن في النفس من خلال الاتصال بالذات -المصدر الكلي اللامتناهي- كما يزعمون.

وهذا الكتاب من أهم الكتب التي يعتمد عليها مروجو هذه المعتقدات وله مكانة في دورات تطوير الذات.

وبين طيات هذا الكتاب العديد من المخالفات الخطيرة المخلة بالعقيدة ومنها:

ـ الخلل في مصادر التلقي:

ومن ذلك في **قول المؤلف:** "وتخبرنا الفيدانتا إحدى أقدم الفلسفات في العالم"[١].

"وثمّة استبصار للاهتمام يردنا من العلوم الفيداوية و"الكابالا" اليهودية"[٢] "وكما قال الشاعر الصوفي (جلال الدين) الرومي في احد أبياته الشعريّة الخالدة"، "وتقول قصيدة بوذية من تراث الزن"[٣]

وهذه كلها من المصادر المنحرفة التي لا يعتمد عليها إلا صاحب ضلال وفكر منحرف.

ـ عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود:

في كثير من المواضع يقرر (ديباك) هذه العقيدة الكفرية، ومن ذلك **قوله:** "وذلك حين تندمج الروح في داخلنا وهي الآن مستيقظة بالكامل مع الروح في داخل الأشياء وهي أيضاً مستيقظة بالكامل، وتصبح ثمّة وحدة وليس هناك سوى روح واحدة، ونحن تلك الروح الواحدة والكون بأكمله هو تبدَّ لتلك الروح الواحدة"[٤].

ويزعم أن الوعي اللامتناهي مصدر كل شيء، وأنه قديم ازلي خالد، يتجدد ويتطور بنفسه **فيقول:**

---

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ ١٣-١٨.

٢ المرجع السابق صـ ٢٠.

٣ المرجع السابق صـ ١٢٨.

٤ المرجع السابق صـ ١١٨.

"والوعي اللامتناهي يخلق ويفعل من خلالنا في ترددات مختلفة"[١].

"السعادة والحزن هما وجهان للوعي اللامتناهي، وكلاهما زائل، وأنت لست أيا منهما، لأنك لست حالة وعي، إنك الوعي بحد ذاته"[٢].

"فذاتك الأعمق كينونتك الجوهرية هي مصدر كل شيء، هي حقل "الوعي المحض" الذي يتجلى تنوّعا لامتناهيا للكون"[٣].

"والوعي اللامتناهي هو مصدرنا، وكل التبدّي متأصل فيه"[٤].

وحقيقة الاتحاد ووحدة الوجود هو زعم(ديباك) ومن يعتقد هذه العقيدة الفاسدة من أن كل شيء في الوجود هو واحد وأن الشخص ـ أي الإنسان ـ هو هذا الواحد، وأن الوعي ـ أي الإله كما يزعمون ـ هو مصدر لكل شيء وهو الخالق لكل ما في هذا الكون، والمدبر له... ولا شك أنها من أخطر معتقدات الروحانية الحديثة الملبسة على كثير من جهلة الناس، وهي شرك في الربوبية، بل هي إلحاد؛ لإنكارها التمايز بين خالق منفرد بأفعاله وقوته وعظمته وبين مخلوق ضعيف.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ١٢٥.

٢ المرجع السابق صـ٩١.

٣ المرجع السابق صـ٩.

٤ المرجع السابق صـ ٢٤.

ـ تأليه الذات والوصول إلى الوحدة من خلالها:

تأليه النفس البشرية ووصفها بكثير من القدرات وأنها مصدر الشفاء والسعادة ومن ذلك:

"وحين تدرك جوهرك الحقيقي تتواصل مع ذلك الجزء من نفسك الذي يتخطى الزمان والمكان ومصدرهما، ولا تتماثل هويتك يعد ذلك مع السلوك المتغير لمحيط الوعي في شتى اشكاله وصوره؛ بل تتماثل هويتك مع "الجوهر" اللامتغير للوعي ذاته... وفيما تقوم بذلك تصبح سيداً روحانيّا وتترفع فوق جميع المعاناة بما في ذلك الخوف من الموت"[١].

"وما من مهمة أكثر أهمية في حياتنا من التواصل مع ذاتنا الباطنية مصدر كل كينونة، والذات الأعمق في داخل كل منّا هي ذات الكون بأكمله، وهي أيضا مصدر كلّ شفاء وتحول، والعالم كان ينتظر تحولنا لأنه هو أيضاً ينشد التحول، وعند تحولنا يتحول العالم، لأننا والعالم واحد"[٢].

"فإنك عندها لا تكون أنت "فحسب" تلك المواضيع، ولا تكون "فحسب" هذا الجسد، ولا تكون "فحسب" هذا الجسد، ولا تكون "فحسب" تلك الأفكار والمشاعر، ستعود أنت "جميع" الأجسام وأنت "جميع" الأفكار والمشاعر، انت حقل جميع الاحتمالات"[٣].

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ ٧٨-٧٩.

٢ المرجع السابق صـ ١٦-١٧.

٣ المرجع السابق صـ ٢٣.

ولا شك أن لهذه المعتقدات الكفرية آثاراً خطيرة على عقيدة المسلمين؛ من منازعة للخالق في ملكه، وصرف خصائص الربوبية لهذا العبد الضعيف الذي لا يملك الحول والقوة لنفسه فضلاً عن أن يعطيها لغيره.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

- الانحراف في الغاية من الخلق وهي العبودية لله تعالى، حيث جعل الغاية من الحياة هو البحث عن السعادة فقط.

"وما هو غرضي في الحياة؟ أن أكون سعيداً وأن أشارك بفرح في الإبداع وتطوُّر الكون"[١].

"إذا ما جعلنا السعادة هدفنا الأوليّ بدلاً من أن تكون هدفنا الثانويّ فإننا ننجز عند ذلك كل شيء آخر نشتهيه بسهولة"[٢].

وهذا خلل في توحيد الألوهية؛ فالله تعالى خلقنا من أجل غاية واحدة ولهدف واحد وهو العبودية **يقول الله تعالى:** ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وليس البلاء في أن تذكر هذه الأمور من ملحد منكر لايقر بدين؛ بل الطامة العظمى في أن يردد هذه الأوهام والدعاوى للسعادة أبناء المسلمين دون نكير لها .

---

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ٦٤.

٢ المرجع السابق صـ ١٢.

ثم ذكر مجموعة من التطبيقات والممارسات الباطنية وليس بغريب على من يحمل تلك الأفكار الروحانية وعقيدته في الأصل باطنية وما ذكره هو في الأصل مبنيّ على عقائد هندوسية أو طاوية أو بوذية، ومن تلك الممارسات:

ـ القول بأن التوازن في الكون يحصل بالين واليانغ:

ومن ذلك: "ونبدأ برؤية ان كل شيء هو توازن بين الطاقات الانثوية والذكورية الين واليانغ، وفي كل مرة يكون هناك مقدار من واحد أكثر من الآخر يختل توازننا"[١].

وهذا ترويج للفلسفة الطاوية "الين واليانغ" وبحسب اعتقادهم أنه بالتناغم بينهما يصبح الكون وحدة واحدة، لا فرق فيه بين الخالق والمخلوق والعياذ بالله.

ـ إنكار الموت ودعوى تناسخ الأرواح ومن ذلك:

"الكل يتحول ومع ذلك لا شيء يموت، وكما في الحياة، كذلك فيما يتعدى الموت، انت تواصل التحول"[٢].

"ومن ثم ندرك ان روحنا بعد الموت ستواصل تأدية ادوار اخرى، ونشعر بارتياح أكبر"[٣].

وهذه عقيدة التناسخ عند الهندوس وغيرهم، يزعمون فيها أن الروح بعد موت الإنسان تنتقل إلى إنسان آخر، ويستمر التناسخ والانتقال من جسد إلى جسد،

---

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ١١٤.

٢ المرجع السابق صـ٧٩.

٣ المرجع السابق صـ ١١٤.

وهذا نوع من المعاناة، فيهدفون إلى التخلص من هذا التناسخ والتحرر من كل القيود ومن ثم الاتحاد بالإله والعياذ بالله، وهذه العقيدة الفاسدة تنكر الموت الحقيقي للروح وهو مفارقتها للجسد إلى نعيم أو عذاب، والموت لهذا الجسد بفنائه، وإنكارها ليوم المعاد.

ـ القول بفلسفة خط الزمن، ومن ذلك:

"أخرج من سجن الوعي المقيد بالزمن وادخل العالم الحر والمجرد من الزمن، وسجن الوعي المقيد بالزمن هو عالم الانفصال والمعاناة، وعالم المجرد من الزمن هو عالم الوعي المحض حيث كل لحظة هي حرة"[1].

فيدعو إلى الخروج من الزمن الماضي و مافيه من الآلام، والعيش في اللحظة التي تجعل كل شيء متاحاً لك ويساعد في الاتصال بك، وهذه الفلسفة تعتمد على عقيدة تناسخ الأرواح وعلى قانون الكارما الذي يحكمها.

ـ الدعوة إلى التأمل التجاوزي:

وهذا التأمل وسيلة مهمة عندهم ـ أي الهندوس والباطنيين ـ للاندماج والاتحاد بالإله ومن ذلك قول (ديباك):

"وإذا ما كنت تسألني ماذا أعتبر التجربة الأهم في حياتي؟ لقلت: إنها تجربة التجاوز والتسامي إلى مكان فيه السكينة والصمت، مرتين في اليوم كل يوم،

---

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ١٥٧.

وعبر التأمل انا أخبر حالة الجوهر الكائن الذي هي أساس وحدة الجسد الفكر لدي أي حياتي"[١].

"فإن أول شيء تتعلمه من خلال التأمل الصامت هو أن الأنا هي التي تراقب أفكارك... استمر على المراقبة استمر على المراقبة حتى تدخل مجال النفس، وهنا أنت تشاهد حضور الروح في كل شيء تراه وتسمعه وتشمه وتتذوقه وتلمسه"[٢].

وهذا التأمل يوصل للمصدر الأعلى الذي هو بمثابة الإله الخالق والاتحاد به والعياذ بالله.

ـ دعوى قانون الجذب، ونسبة التدبير للكون! ومن ذلك:

"عندما نمتلك رغبة ندرك ما هي نيتنا، ومن ثم نطلقها في سبيلها فحسب، واثقين من ان الكون سينظم جميع تفاصيل تبديها أو تحقيقها... بل نطلق الرغبة من قلوبنا، وندعها تتدفق من خلالنا مع نبضة الكون، وبقدر ما ننفصل عنها وندعها في سبيلها تتحقق رغباتنا على نحو تلقائي"[٣].

نطلق الرغبة ثم ندعها تتدفق وتنفصل فتتحقق تلقائيا وهذا قانون الجذب الذي يدعو لترك الأسباب وينازع الرب سبحانه في كثير من خصائص الربوبية.

ثم قال في موضع آخر: "وحين تكون حياتنا تعبيرا عن السعادة الداخلية نكتشف مخزونا من القوة في داخلنا.. تمنحنا التحرر من الخوف والمحدوديات وتسمح

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ ١٤١.

٢ المرجع السابق صـ١٤٢.

٣ المرجع السابق صـ ١٠٧.

بتحقيق الوفرة التي نطمح إليها.. تغذي جميع علاقاتنا وتجعلها وافية... نغدو مسارات نشع نورا ومجبة... وحتى الطبيعة تستجيب لاهتماماتنا... وبقدر ما نعيش حالة السعادة نختبر التحقق العفوي لرغباتنا بهيئة تزامن ومصادفة ذات مغزى.. حالة النعمة... ان نحظى بدعم قوانين الطبيعة او الحظ الجيد.. وفي حالة النعمة يبدو لنا العقل الكوني يتنصت إلى أفكارنا ويحقق رغباتنا واهتماماتنا حتى فيما تخالجنا"[١].

وهذا من الشرك في الربوبية حيث جعلوا الكون هو من يحقق مطالبهم ورغباتهم، مع مشابهة القدرية في أن العبد يخلق قدره ومستقبله والعياذ بالله.

ـ دعوى تأثير الطاقة السلبية والإيجابية:

من خلال ممارسات وتطبيقات معينه يزعمون أنهم يستمدون الطاقة المنتشرة في الكون إلى الأجساد لأجل الوصول لنيرفانا.

"وكلما زادت المرونة والتغاير في قلبك من خفقة إلى خفقة ابتكرت حقلا كهرمغنطيسيا منسجما، وعندما يحدث هذا تقع بقية الخلايا في الانسجام وأنت تشع حقلا منسجما من طاقة كهرمغنطيسية هو الهالة، والهالة هي انسجام قلبك أو إشعاعه فحسب، أنت تشع حقل الطاقة ذلك إلى الكون، وحين يكون حقل الطاقة منسجما تتناغم عناصر الكون وقواه، وما إن تنضم إلى ذلك الدفق حتى تصبح كل نية لديك متماشية بتناغم مع نشاط هذا الكون"[٢].

١ كتاب: القوة والحرية والخير صـ١٤.

٢ المرجع السابق صـ.١٨.

"علينا أن نتعلم تجاوز الفكر الإيجابي والآخر السلبي على حد سواء لكي نصبح فكرا صامتا لا يلجأ الى الحكم ولا الى التحليل ولا الى التفسير، وهو بعبارة أخرى الشاهد الصامت... ونصبح عفويا من غير حكم ولا تحليل ولا تفسير إزاء الحالات والظروف والأشخاص الآخرين وأنفسنا"[1].

وهذه دعوى ظاهرة لتطبيق تلك الفلسفات الخاصة بالطاقة السلبية والإيجابية، وأن الطاقة الكونية تدبر الكون، ووصفها بعدة صفات خاصة بالله تعالى، وهذا شرك في الربوبية.

هذا باختصار أبرز المخالفات العقدية التي حملها هذا الكتاب، وإلا بين طياته من المخالفات الكثير، فأين تكمن السعادة والقوة بعد هذا الضلال والكفر والعياذ بالله!!

*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر.

١ كتاب: القوة والحرية والخير ص٨٩-٩٠.